بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة في المسجد النبوي بالمدينة النبوية

لفضيلة الشيخ : علي الحذيفي

بتاريخ : ١٣- ٤-١٤٢٤هـ

وهي بعنوان : فضل الدعاء وآدابه

الحمد لله رب الأرض والسماء، الوهاب لكل نعماء، سميع الدعاء، يكشف الضراء واللأواء، أحمد ربي وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له خير الأسماء، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدًا عبده ورسوله، المبعوث بالحنيفية السمحاء، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه الأتقياء.

أمّا بعد: فاتّقوا اللهَ وأطيعوه، وتوبوا إليه واستَغفروه.

أيّها المسلمون، اعلَموا أنّه لا يكون شيءٌ في الأرض ولا في السّماء إلا بقضاءٍ من الله وقدَر، ولا يحدُث أمرٌ محبوب أو مكروه إلا بمشيئة الله وخلقه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر:٤٩، ٥٠].

فالله هو الذي يدبِّر الأمور، وهو العليم بذات الصّدور، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد:٢].

جعَل للسّعادة أسبابًا، وجعل للشّقاء أسبابًا، ورتّب المسبّبات على أسبابها، فخلقَ الأسبابَ، وخلقَ آثارَ الأسباب، ولا يحكُم مشيئتَه وإرادتَه شيء، فلو شاء لخلَق وأوجدَ الشّيءَ بلا سبَب، قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٦]، وقال تعالى: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

والدّعاءُ أكرَم شيءٍ على الله، شرَعه الله لحصول الخَير ودفعِ الشر، فالدّعاءُ سببٌ عظيم للفوز بالخيرات والبركات، وسببٌ لدفعِ المكروهات والشرِّ والكربات، وفي الحديث: ((لا يُنجي حذرٌ من قدَر، والدّعاء ينفع ممَّا نزل وممَّا لم ينزل)).

والدّعاءُ من القدَر والأسباب النّافعة الجالبة لكلِّ خَير والدّافعة لكلّ شرّ، وقد أمَر الله عبادَه بالدّعاء في آيات كثيرة، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

وحقيقةُ الدّعاءِ تعظيمُ الرّغبة إلى الله في قضاءِ الحاجاتِ الدنيويّة والأخرويّة، وكشفِ الكرباتِ ودفعِ الشّرور والمكروهات الدنيويّة والأخرويّة.

والدّعاءُ تتحقَّق به عبادةُ ربِّ العالمين؛ لأنَّه يتضمَّن تعلّقَ القلبِ بالله تعالى، والإخلاصَ له، وعدمَ الالتفات

إلى غَير الله عزّ وجلّ في جلبِ النّفع ودفع الضرّ، ويتضمَّن الدعاءُ اليقينَ بأنّ الله قدير لا يُعجزه شـــيء، عليمٌ لا يخفى عليه شيء، رحمَن رحيم، حيّ قيّوم، جوَاد كريم، محسِن ذو المعروف أبدًا، لا يُحَدُّ جـــودُه وكرمُه، ولا ينتهي إحسانُه ومعروفه، ولا تنفَد خزائن بركاته. فلأجلِ هذه الصفات العظيمة ونحوها يُرجى سبحانه ويُدعَى، ويسأله من في السماوات والأرض حاجاتهم باختلاف لغاتهم.

ويتضمَّن الدّعاءُ افتقارَ العبدِ وشدّةَ اضطرارِه إلى ربّه، وهذه المعَاني العظيمةُ هي حقيقةُ العبادة.

فمَا أعظمَ شأنَ الدّعاء، وما أجَلَّ آثارَه، ولِهذا جاءَ في فضل الدّعاء ما رواه أبو داود والترمذيّ من حديث النّعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قال: ((الدّعاءُ هو العِبادة)) قال الترمذي: "حديث حســن صحيح"، وعن أنس رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: ((الدّعاء مخُّ العِبادة)) رواه الترمذيّ، وعــن أبــي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: ((ليسَ شيءٌ أكرَم على الله مِن الدّعاء)) رواه الترمــذيّ وابــن ماجه والحاكم.

ولمّا كان الدّعاءُ هو العِبادة فإنّه لا يكون إلا لله وحدَه، فلا يُدعَى من دون الله ملكٌ مقرَّب، ولا نبيّ مرسَل، ولا وليّ ولا جنّيّ، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان:٦٨]، ومن دعَا مخلوقًا من دون الله نبيًّا أو ملكًا أو وليًّا أو جنّيًّا أو ضريحًا ونحوَه فقد وقَع فــي الشّرك الأكبر، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٦، ١٠٧]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۝ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ:٤٠، ٤١]، وقال تبارك وتعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾ [الرعد:١٤].

عبادَ الله، المسلمُ في كلِّ ساعةٍ وفي كلّ وقتٍ مضطرّ إلى الدّعاء لحصولِ خيرٍ ينفعُه في الدّنيا والآخــرة، ولدفع شرّ ومكروه يضرّه في الدّنيا والآخرة، فمَن وُفّق للدّعاء فقد فتح الله له بابَ خيرٍ عظيم، فليلزمْــه، وليسألِ المسلمُ ربَّه كلَّ حاجةٍ له، صغيرةً أو كبيرة، كما قال النبيّ ﷺ: ((ليسألْ أحدُكم ربَّه حاجتَــه حتّــى شسعَ نعلِه)).

ولو تفكَّر المسلمُ في كلّ نعمَة وحاجةٍ صغيرةٍ أو كبيرة لعلِمَ يقينًا أنّه لا قدرةَ له على إيجادها والانتفاعِ بها لولا أنَّ الله أوجدَها وساقها إليه بقدرته ومنِّه وكرمه، ومَن هوَّن شأنَ الدّعاء فقد بخَس نفسَه حظَّها من خيرٍ عظيم، وأصابَه من الشرّ بقدر ما زهد في هذه العبادة.

واعلَم ــ أيّها المسلم ــ أنَّ الإجابةَ مَع الدّعاء، سواء كانت عاجلةً أو آجلة، قال عمر رضي الله عنه: (إنّي لا أحمل همَّ الإجابة، وإنّما أحمِل همّ الدّعاء، فإذا أُلهِمتُ الدّعاءَ فالإجابة معه) ، وعن عبادة بــن

الصامت رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: ((مَا على الأرضِ مسلمٌ يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إيّاها، أو صرف عنه من السّوء مثلَها، ما لم يدعُ بإثم أو قطيعةِ رحِم))، فقال رجل من القوم: إذًا نكثِـر، قال: ((الله أكثَر)) رواه الترمذي، وقال: "حديث حسن صحيح"، ورواه الحاكم من رواية أبي سـعيد وزاد فيه: ((أو يدَّخِر له من مثلِها)) يعني في الآخرة.

واعلَم ــ أيّها المسلم ــ أنَّ الدّعاء عبادة عظيمَة.

أيّها المسلم، كُن دائمًا ملازمًا للدّعاء، متعلّقًا قلبك بالله تعالى، وارغَب إلى الله عزّ وجلّ لقضاءِ حاجاتِـك كلّها؛ فإنّه على كلِّ شيء قدير، إذا أراد شيئًا خلقَ أسبابَه، أو أوجدَه بقدرتِه ومشـيئتِه. وأشـرِك ــ أيّهـا المسلم ــ في دعائك الإسلامَ والمسلمين بالدّعوة الصالحة، أئمّتَهم وعامّتَهم، بأن يعزَّ الله الإسلامَ وأهلَه في كلّ مكان، ويحفظَ الإسلامَ وأهلَه في كلّ مكان، ويخذلَ أعداءَ الإسلام، ويكفَّ شـرَّهم، ويبطِـل كيـدَهم ومكرَهم، لا سيّما في هذا العصر الذي تعدّدت فيه مصائبُ المسلمين، وكثرَت همومهم وغُمومُهم، ووصلوا إلى حالةٍ لا يقدِر أن ينجيَهم إلا الله، اقتداءً برسولِ الله ﷺ حيث أمره الله تعالى بقوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ [محمّد:١٩]، وفي الحديث: ((من لم يهتمَّ بأمرِ المسلمين فليسَ منهم)).

قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٥، ٥٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا وإيّاكم بما فيه من الآيات والذِكر الحكيم، ونفعنا بهدي سـيّد المرسلين وقولِه القويم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كلّ ذنب فاسـتغفروه، إنّه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، الرّحمن الرّحيم، أحمده سبحانه وأشكره على فضلِه العميم، وأشهد أن لا إله إلا الله القويّ المتين، وأشهد أنَّ نبيَّنا وسيّدنا محمّدًا عبده ورسوله الأمين، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك علـى عبـدك ورسولِك محمّد، وعلى آله وصحبِه أجمعين.

أمّا بعد: فاتّقوا اللهَ تعالى بامتثالِ أوامرِه وتركِ نواهيه، تفوزوا بجنّات النعيم، وتصلحوا دنياكم بشـرعِ اللهِ القويم.

عبادَ الله، إنَّ دعاءَ المسلم بإخلاصٍ وتوجُّهِ قلبٍ أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ، والله يقول في كتابه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦]، وقال تعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [غافر:١٤].

ويُستحَبّ للمسلم أن يتخيَّر جوامعَ الدّعاء، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يسـتحِبّ الجوامعَ من الدّعاء، ويدَع ما سوى ذلك. رواه أبو داود بإسناد جيّد.

وليحرِصِ المسلم على حفظ دعاءِ رسول الله ﷺ بقدر استطاعتِه، فقد شرع عليه الصلاة والسلام لكلِّ حالٍ دعاءً وذكرًا.

ويستحَبّ أن يُقدِّم بين يدَي دعائه عملا صالحًا، ويُثني على الله ببعضِ ما أثنى به على نفسه، ويصلّي على نبيّه محمّد ﷺ؛ لأنّ الدّعاءَ معلّقٌ بين السّماء والأرض حتّى يصلَّى عليه، فصلوات الله وسلامه عليه، ويتوسّل إلى الله بأسمائه الحسنى، وبالاسم الذي يناسِب حاجتَه من أسماءِ الله الحسنى، كقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون:١١٨]، وكقوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة:١١٤].

ويستحَبّ أن يتَحيّن أوقاتَ الإجابة مثل ثلث الليل الآخر، وبين الأذان والإقامة، وعند نزول الغيث، وأدبار الصلوات، وعندَ رؤيةِ البيت العتيق، وآخر ساعة من الجمعة.

عبادَ الله، إنَّ الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، وقد قال ﷺ: ((مَن صلّى عليَّ صلاةً واحدةً صلّى الله عليه بِها عشرًا)).

فصلّوا وسلِّموا على سيّد الأولين والآخرين وإمَام المرسلين.

اللهمَّ صلِّ على محمّد وعلى آله محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم...